

فادي شماس يجعل للصمت صوتاً أساسه الألوان

الفنان اللبناني يشيد جسراً ما بين الفن التزييني والفن المعني بمجتمعه

الفن الموازي للواقع المعيش غالباً ما يكون أجمل منه أو على الأقل أخف وطأة. وهناك من الفنانين من تميّزت نصوصهم البصرية بعمق المعاني وتجلياتها الفنية مبتكرة في لوحات متعدّدة في تعبيرها التشكيلي، ومنهم من اعتمد فناً أكثر مباشرة غالباً ما يُطلق عليه عنوان "الفن التزييني". أما البعض الآخر فيشيدّ فنه جسراً ما بين الفن التزييني وذلك المنقل بالمعاني والمعني بمجتمعه، والفنان اللبناني فادي شماس واحد من هؤلاء.



ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

وكذلك هو من أهم خصائص أعمال الفنان.

والأهم من ذلك أن شماس لا يدعي تحميل نصه أفكاراً فلسفية أو سياسية أو غيرها من الأفكار الشائكة والتي تتحسّل التأويل، بل يقدم نصه الجميل بنصاعة أسرة كمن يقول "هذا هو لبنان.. هذه هي بيروت بكل تناقضاتها تحت سماء هي دائمة الزرقة".

وذلك دون أن يفترض تصريحه البصري هذا أي تحاليل على الوضع المتنازم عبر إقصاء البشاعات التي بدأت باجتياح لبنان بشكل عام وبيروت بشكل خاص منذ بداية التسعينات من القرن الماضي، لاسيما في ظل غياب سدوي لتنظيم مدني معظمهم جعل بيروت مدينة "معاصرة / عالمية"،

على الأقل بيهيئتها وإن جرى ذلك على حساب خصوصيتها. خصوصية شكّلت شهرتها، وذلك منذ الأربعينات وصولاً إلى بداية سبعينات القرن الماضي.

لوحاته تعطي الناظر إليها فرصة راحة من الاحتقان المعيشي المزمّن. تأخذ المشاهد العام والمشاهد اللبناني بشكل خاص إلى عالم مواز، هو حتماً أجمل وأقلّ وطأة.

من الناقل ذكره أنه من السهل العبور بالنسبة إلى المشاهد اللبناني إلى هذا العالم، إلى هذه الضفة الثانية التي في حقل نظره هي دوماً مؤهّلة لأن تكون غير الجيدة منها والسّيئة.

لم تغادر هذه الخاصية، أي قدرة اللبناني على العبور اليسير إلى الضفة الثانية سرايا كانت أم حقلية. والفنان من هذا المنظار هو لبناني وبامتياز.

وتتجاوز في لوحات الفنان شماس المنازل التراثية والمعاصرة إلى جانب تلك المتصدّعة بفعل مرور الزمن أو الحرب الأهلية. تعايش في سلام تحت زرقة سماء تصرّف في لوحاته على تماسك من دونه ستتزلّق آثاره الفنية من غير شك إلى معالم زمن معاصر، فقط تتأخّر فيه التناقضات وتتظهر



تجاور حميمي بين المنازل التراثية والمعاصرة في لوحة واحدة



أعمال خارجة من عالم طراز



شخص بلا ملامح تهيم على وجهها في فضاء المدينة الفسيح

نرى وجهه. هو أيضاً يسير في اللوحة إلى وجهة محدّدة. وهو أيضاً من أهل المدينة، ولكن يختلف عنهم بأنه رصد هذا "الغيب" في لوحته. وفادي شماس من خريجي مدرسة بيروت للفنون سنة 1985، وله مشاركات عديدة في معارض جماعية داخل لبنان وخارجه.

"ناس تتكلم دون أن تحكي... ناس تسمع دون أن تصغي"، حيث يسير أفراد على الكورنيش البحري من دون ملامح وجوه، كل واحد منهم غير غارق في عالمه الخاص، بل يسير إلى وجهة معيّنة دون الكثير من التفكير. وينشر الفنان هذه اللوحة مُجدداً مضيئاً إليها هامته، ولكن من دون أن

أشجار إلى جانب سيارتين مركونتين على حافة الطريق، بهذه الكلمات "حتى أفقر الأحياء هي غنية بأهلها، وحتى أغنى الأحياء هي فقيرة إن غاب الناس عنها!"

وفي موضع آخر على صفحته ينشر الفنان لوحة لبيروت يُبرز فيها منزلان تراثيان تحيط بهما منشآت معاصرة "مينمالية" بالأبيض والأبيض. ويلحق بصورة اللوحة مقطع من أغنية "قومي يا بيروت" لمجددة الرومي من كلمات الشاعر السوري الراحل نزار قباني التي تصف قوة المشاعر تجاه بيروت. وقد يكون هذا هو أسلوب الفنان في التعبير عن عاطفته تجاه المدينة، أن يرسمها بدقة وأن يُؤرشف مشاهدتها للتاريخ.

يغيب الإنسان في معظم لوحات الفنان. وإن حضر فيحضر وهو غائب روحياً وفكرياً عمّا يحيط به من بشر وأبنية وأشجار على السواء. كل من هؤلاء الأفراد وهم مواطنون عاديون غارقون في شؤونهم الخاصة منغلغلون عمّا يسعد أو يؤلم الأخر/ الشريك في الوطن.

من هذه اللوحات نذكر تلك التي يواكب صورتها الفنان بكلمات للأغنية الشهيرة "صوت الصمت" ومن كلماتها

أزمات العيش اللبناني التي لا يمكن أن تعلن عن ذاتها إلا ورافقتها التنازع الداخلي.

غير أنه يجب الإشارة إلى أن الفنان في لوحاته يُعلن ميله العاطفي إلى الجانب التراثي من المنازل والمنشآت على حساب تلك المعاصرة التي غزت سماء بيروت، ويعبر عن ذلك فنياً من خلال إبراز تلك المنازل باللون والتفاصيل، بينما تبدو المباني الجديدة في العديد من لوحاته وكأنها قيد البناء أو هي مجرد حضور يؤطر المدينة ولا تُعرّف أو تُعرّف به.

غياب العنصر البشري

ربما ما يُضعف نص فادي شماس هو أن منزله تشبه في أحيان كثيرة رسومات يخطها مهندس معماري بكل علم ودراية وبكثير من البرودة تجاه المشهد المرسوم، لتبدو مجرد هياكل بنائية وأشكال هندسية ناصعة أكثر منها منازل يسكنها أو غارها أصحابها. يغيب العنصر البشري في تلك اللوحات. ولا يفصل الفنان عن ذلك إن يعلق، على أحد أعماله التي تصوّر شارعاً تظهر فيه أبنية تراثية وبضعة

العراقي فائق العبودي يشكّل من القدامة لوحات تجريدية معاصرة

على النتيجة التي تخدم مشروعاً فني، ليست لدى مادة مفضلة على أخرى، لا تهمني الوسائل ما دامت الفكرة تفرض نفسها على اللوحة، فالمادة أيضاً هي جزء من الفكرة، وبالتالي تفرض أيضاً شكلها وطريقة اشتغالها.

الأشكال الهندسية، الوجوه البارزة، أشجار النخيل والطيور.. كلها رموز تجريدية تحضر بكثافة في لوحات العبودي، هي إشارات من التاريخ القديم تشبه تلك الموجودة على الرقم والألواح الطينية القديمة في تمارح حميمي بين اللون والضوء.

هذا التفرد في الاشتغال على القدامة برؤى تجريدية حديثة مكن العبودي من إيجاد علاقة بين بواكير الفن العراقي القديم والرؤية المعاصرة، وهو ما يؤكده الناقد العراقي عادل كامل بقوله "العبودي وجد بنية شديدة التماسك في العناصر والوحدات والأشكال والمناخ، لكنه بدافع حبه للطبيعة وغنائيته الحزينة أعطى للألوان هذا الطابع الأقرب إلى الموسيقى أو المقام العراقي بما يمتلكه من خصوصية تقنية ونفسية وجمالية متوازنة بين العالم الخارجي وما يختلجها في أعماق الفنان".

ولفائق العبودي العديد من المعارض الفردية والجماعية ببغداد وبعض العواصم العربية والغربية، ونال قدراً كبيراً من الإشادة النقدية بتجربته الفنية التشكيلية ممّا أهله لعضوية أكاديميات فنية مختلفة، منها: جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين، جمعية الخطاطين العراقيين، الرابطة الدولية للفنون ببغداد وغيرها.

قديمة ومنسية، ولادة الكتابة ونشأة الحضارات الإنسانية في الشرق الأوسط القديم، وتكمن تقنية عمله الفني في وضع طبقات من ألوان الصباغة الزيتية والأكريليك، لتتراكم فوق الورق، الخشب أو القماش، فتخلق أشكالاً متعاقبة تجرّئ اللوحة إلى أقسام مختلفة، تطفو على سطحها رموز وأشكال تمتد إلى القديم.

وفي ذلك يقول العبودي "أحب أن أجرب عدة مصاد واللوان حتى أحصل حقيقتاً".

وأظهاره بلون العصر ليكتسب تداولاً حقيقياً".

أما الناقدة السويسرية لورانس فولكنر سكيبون فتقول عنه "لوحات العبودي تذكرنا بالحقول الملونة للرسام الانطباعي التجريدي مارك Rothko، حيث يستعمل الفنان العراقي في آثاره الفنية ألواناً غامقة وأكثر عضوية كالألوان الطينية والرمادية، والتي تطرح فكرة الألواح القديمة للكتابة السومرية (...)

لوحات كأنها قطع أثرية منقّب عنها حديثاً، وما زالت تحمل تراب وتاكل الزمن وتعاقبه".

يرسم العبودي كما لو كان يكتب نصاً مفتوحاً وبروحية مترعة بالحزن الشفيف ومتباعدة عن القلق الذي لا طمانينة فيه، وفي منطقة ما من أشياء ذاته يختطف الألوان ليصق الرائي بلمساته البهيجة، كل شيء لدى الفنان يدور في إطار الناموس الفني الخاص بالعراق، بلد الحضارات والأسئلة الكبرى والحالة التشكيلية المتميزة في العالم العربي.

ناموس قال عنه الناقد اللبناني حازم سليمان "الاستغراق في عوالم الرموز الحضارية هو السياق الموضوعي الذي يجمع بين عموم أعمال العبودي وفق استحداثات وتوليفات بنائية وإيقاعية تحاول أن تعيش الحداثة واللحظة الراهنة دون قطعها عن حيوية الاستمرارية وحركة الزمن الذي لا يتوقف. ثمة قراءات واضحة المعالم يقوم بها الفنان العراقي لتراثه وموروثه الذي يُحاول أن يضع منه عالماً جديداً متداخلاً للعناصر والمفردات".

لوحات الفنان العراقي تستحضر في أشكالها عوالم

فهو يستقي من المشهد الحضاري العريق مادته التشكيلية وفق طرق متنوّعة وأسلوب تشكيلي يتميّز بمقومات وتفاعليات مختلفة، سواء على مستوى البناء الفضائي أو على مستوى التقنيات العالية المولفة، أو على مستوى الجهازي المفاهيمي بكل شعباته.

أعماله تتبدّى بمؤراً جمالية لأوجه من الرموز والعلامات التي تتجذّر في التاريخ العريق لتعبّر عن معانٍ فلسفية وتاريخية واجتماعية وثقافية وحضارية وفق صيغ تعبيرية يُصيغها العبودي بالوان زاوية منقّاة بدقة فائقة وعناية دقيقة، ليشكّل منها مفردات جمالية ذات دلالات ومعانٍ متنوّعة، فيعمد إلى روابط علائقية تتراعى بين العلامات والرموز والألوان، فيلجأ بدءاً من عملية البناء إلى إنتاج توليف بين مختلف العناصر التشكيلية، ليفصح عن جملة من التراكمات الرمزية، والأشكال المتوهّجة، والعلامات الأيقونية التي تنبثق أساساً من الأشكال والألوان المحاذية لما يشخصه من الواقع الرمزي بكل تفاصيله الدقيقة.

وعن تجربته الفنية يقول الناقد المغربي محمد آيت لعيمي "لدى العبودي نزوع نحو الكتابة فوق القماش وكأنه يصنع مخطوطات قديمة، هذه القدامة نستشفها من الإيهام بأثر البلي والتشط والمحو والخربشات. لقد ارتقى العبودي باستلهام هذا الموروث الغني إلى مستوى العالمية حيث تستقبل أعماله بكثير من الحفاوة والتقدير شرقاً وغرباً، وهذا هو المطلوب من أي فنان حقيقي، أن يغرق في المحلية ليصل إلى العالمية، فالحداثة ليست في تقليد التجارب الغربية بقدر ما هي بحث عن الغريب والمدهش فينا

ومجلة الوان الثقافية وهي مجلة تهتم بالثقافة والإبداع والفنون. انتشرت لوحات الفنان العراقي في عدد من دول أوروبا وله جدارية أطلق عليها "السلام" وضعت في مدينة فيري جنيف، وأعماله تمتلك خصوصية الاشتغال على الرموز والتماثل القديمة مستلهما مواضيعه من تاريخ العراق القديم، حيث يتمرّد على الألوان حين يقوم بتعيق منجزه الفني ليمنحه قدماً تفوح منه رائحة التاريخ وكان اللوحة قد أخرجت للتو من باطن الأرض.

بغداد - ينتمي الفنان العراقي فائق العبودي إلى تربة الفن الأصلي الحامل للهوية العراقية، وهو الدارس للفنون الجميلة والتصوير الفوتوغرافي والتصميم. تابع دراسته العلمية للتصميم الطباعي في سويسرا، فضلاً عن حصوله على بكالوريوس فنون من الجامعة العربية المفتوحة في شمال الولايات المتحدة.

واتخذ العبودي من مدينة لوزان السويسرية منذ عام 1999 مستقراً له، وأسس فيها مركز فضاء الشرق الثقافي، لعب جمالي على الشكل والضوء

بغداد - ينتمي الفنان العراقي فائق العبودي إلى تربة الفن الأصلي الحامل للهوية العراقية، وهو الدارس للفنون الجميلة والتصوير الفوتوغرافي والتصميم. تابع دراسته العلمية للتصميم الطباعي في سويسرا، فضلاً عن حصوله على بكالوريوس فنون من الجامعة العربية المفتوحة في شمال الولايات المتحدة.

واتخذ العبودي من مدينة لوزان السويسرية منذ عام 1999 مستقراً له، وأسس فيها مركز فضاء الشرق الثقافي، لعب جمالي على الشكل والضوء

بغداد - ينتمي الفنان العراقي فائق العبودي إلى تربة الفن الأصلي الحامل للهوية العراقية، وهو الدارس للفنون الجميلة والتصوير الفوتوغرافي والتصميم. تابع دراسته العلمية للتصميم الطباعي في سويسرا، فضلاً عن حصوله على بكالوريوس فنون من الجامعة العربية المفتوحة في شمال الولايات المتحدة.

واتخذ العبودي من مدينة لوزان السويسرية منذ عام 1999 مستقراً له، وأسس فيها مركز فضاء الشرق الثقافي، لعب جمالي على الشكل والضوء

بغداد - ينتمي الفنان العراقي فائق العبودي إلى تربة الفن الأصلي الحامل للهوية العراقية، وهو الدارس للفنون الجميلة والتصوير الفوتوغرافي والتصميم. تابع دراسته العلمية للتصميم الطباعي في سويسرا، فضلاً عن حصوله على بكالوريوس فنون من الجامعة العربية المفتوحة في شمال الولايات المتحدة.

واتخذ العبودي من مدينة لوزان السويسرية منذ عام 1999 مستقراً له، وأسس فيها مركز فضاء الشرق الثقافي، لعب جمالي على الشكل والضوء

بغداد - ينتمي الفنان العراقي فائق العبودي إلى تربة الفن الأصلي الحامل للهوية العراقية، وهو الدارس للفنون الجميلة والتصوير الفوتوغرافي والتصميم. تابع دراسته العلمية للتصميم الطباعي في سويسرا، فضلاً عن حصوله على بكالوريوس فنون من الجامعة العربية المفتوحة في شمال الولايات المتحدة.

واتخذ العبودي من مدينة لوزان السويسرية منذ عام 1999 مستقراً له، وأسس فيها مركز فضاء الشرق الثقافي، لعب جمالي على الشكل والضوء

بغداد - ينتمي الفنان العراقي فائق العبودي إلى تربة الفن الأصلي الحامل للهوية العراقية، وهو الدارس للفنون الجميلة والتصوير الفوتوغرافي والتصميم. تابع دراسته العلمية للتصميم الطباعي في سويسرا، فضلاً عن حصوله على بكالوريوس فنون من الجامعة العربية المفتوحة في شمال الولايات المتحدة.

واتخذ العبودي من مدينة لوزان السويسرية منذ عام 1999 مستقراً له، وأسس فيها مركز فضاء الشرق الثقافي، لعب جمالي على الشكل والضوء

بغداد - ينتمي الفنان العراقي فائق العبودي إلى تربة الفن الأصلي الحامل للهوية العراقية، وهو الدارس للفنون الجميلة والتصوير الفوتوغرافي والتصميم. تابع دراسته العلمية للتصميم الطباعي في سويسرا، فضلاً عن حصوله على بكالوريوس فنون من الجامعة العربية المفتوحة في شمال الولايات المتحدة.

واتخذ العبودي من مدينة لوزان السويسرية منذ عام 1999 مستقراً له، وأسس فيها مركز فضاء الشرق الثقافي، لعب جمالي على الشكل والضوء

بغداد - ينتمي الفنان العراقي فائق العبودي إلى تربة الفن الأصلي الحامل للهوية العراقية، وهو الدارس للفنون الجميلة والتصوير الفوتوغرافي والتصميم. تابع دراسته العلمية للتصميم الطباعي في سويسرا، فضلاً عن حصوله على بكالوريوس فنون من الجامعة العربية المفتوحة في شمال الولايات المتحدة.



الفنان اللبناني يستضيف الزمن بمختلف محطاته في لوحة واحدة، فيتجاوز الماضي والحاضر والمستقبل معا



لعب جمالي على الشكل والضوء